نور الدين قوطيط

لماذا أنا مسلم

الحمد لله كما ينبغي لجلاله و يليق بعظمته ، و الصلاة على سيد الخلق و رسول الإنسان ، و سلّم تسليماً كثيراً :

هذه المقالة نواة مشروع أكبر ، في النية _ إن شاء الله تعالى _ إنجازه ، و لهذا اقتصرت هنا على بيان باقة من المعالم الكبرى ، دون الخوض في التفاصيل _ و التي ستتكفل بها النسخة النهائية بحول الله _ سواء من حيث البيان و التدليل المعمّق ، أو من حيث درء الاعتراضات ، و مناقشة مجموعة من الإشكاليّات التي يطرحها الملاحدة و غيرهم .

لماذا تجزم أنّ الإسلام هو الدين الحق و ليس النصرانيّة مثلاً ؟؟

هذا السؤال يُطرح على كثير من الإخوة و الأخوات خاصة من طرف زملائهم النصارى في الجامعات ، أو حتى في مواقع الإنترنت كالمنتديات و صفحات الفيسبوك و توتير . و لهذا سأضع هنا _ كما قلنا آنفاً _ قواعد عامة و كليات ضابطة لفهم لماذا الإسلام هو الدين الحق .

إذن لماذا أنا مسلم ؟

في سبيل البحث عن جواب هذا السؤال العميق ، وضعتُ شرطين جوهريين ، بدونهما لن يكون الإسلام _ و أي دين آخر _ سوى أسطورة من الأساطير ، التي تُرضي العقول الساذجة و القلوب الشاردة . هذان الشرطان هما :

- أن تكون منظومة الإسلام ، منظومة متكاملة و شاملة لمختلف مظاهر الشخصيّة الإنسانيّة : المعرفيّة ، القيميّة ، السلوكيّة ، الفرديّة ، الجماعيّة . بما يتناسب مع قواعد العقل الفطري ، و يلبّي الاحتياجات الكاملة للإنسان .
- أن يقدم المنهج الإسلامي مثله الأعلى و قدوته العليا في شخص إنساني ، تحكمه جميع الدوافع و الرغبات و الاحتياجات البشريّة ، لكي يكون فعلاً صورة تطبيقيّة تُبرهن على امكانيّة ممارسة تعاليم المنظومة النظريّة التي يقدمها . و سأكتفي في هذا البحث المختصر على الجانب النظري ، أما المثل الأعلى المتمثل في : الرسول ﷺ ، فسأرجئه إلى البحث الموسع بحول الله تعالى .

و عندما تأملت تعاليم المنهج الإسلامي وجدته يحقق هذين الشرطين إلى أقصى ما يمكن أن يطمح إليه الإنسان الباحث عن الحقيقة .

هناك مجموعة أسئلة جوهريّة ، تكشف لنا عن مدى تحقيق المنهج الإسلامي للشرطين السالفين ، و سنخوض فيها بشكل مُجمل ، انتظاراً للنسخة النهائيّة _ بحول الله تعالى _ كما قدمنا في مقدمة هذا البحث . و تلك هي :

. سؤال المطلق :

أقصد به أنّ الإسلام قدم إجابة عميقة تُشبع غريزة المقدس في الشخصية الإنسانية ، أي : ما المطلق المقدس ؟ و من هنا كشف للإنسان معنى الألوهية ، و رسم لها صورة واضحة منسجمة غاية الانسجام مع قواعد العقل السليم . فَسِمَات الله في الإسلام هي :

الكمال : كشف القرآن الكريم أنّ الله تعالى يتصف بصفة الكمال المطلق في ذاته و صفاته جميعاً ، و من ثمَّ فليس كمثله شيءٌ من مختلف المخلوقات و صفاتهم : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: 11] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: 6] .

الخالقيّة : كشف القرآن الكريم أنّ الله تعالى هو صاحب الخلق جميعاً ، يخلق ما يشاء من أنواع و أجناس و أشكال ، و قد خلقهم بإرادته الطليقة ، و لحكمته البالغة : ﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الرعد: 16] .

القيّوميّة : كشف القرآن الكريم أنّ الله تعالى لا يترك مخلوقاته المختلفة سدى ، اهتماماً بذاته المقدسة ، بل هو القائم على شؤونها جميعاً : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد: 33] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ [فاطر: 41] .

الحاكميّة : كشف القرآن الكريم أنّ الله تعالى له الحاكميّة المطلقة ، يفعل ما يشاء ، لا راد لأمره و لا معقب على حكمه . فهو الذي خلق الوجود على هذا الشكل و بهذا النظام ، و هو الذي أخضع الكائنات لقوانين معيّنة ، لا تجد من سبيل للانعتاق منها : ﴿ وَ اللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ [الرعد: 41] . ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: 40] .

التواصل : كشف القرآن الكريم أنّ الله تعالى بالرغم من أنّه غني عن العالمين إلا أنّه يتواصل مع عباده ، ليهديهم سبيل الغاية التي لأجلها خلقهم ، و التي سيحاسبهم عليها يوم القيامة : ﴿ وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [الروم: 47] .

و لقد وجدت ببديهة العقل أنّ هذا ما يحسن في منطق الحكمة أن يكون : إله مطلق الكمال في ذاته و صفاته ، لا يكون إلا ما يريد ، لا راد لأمره و لا معقب على حكمه ، و لا أستطيع بعقلي المحدود أن أُحيط به علماً . و إذا كان خلقني لغاية معيّنة فمن المهم أن يُعرّفني حقائقها و مساراتها حتى أكون على بيّنة من أمري .

❁❁❁

. سؤال الذات :

أقصد به أنّ الإسلام قدم إجابة دقيقة للكينونة الإنسانيّة أي : ما الإنسان ؟ فلقد كشف للإنسان معنى الإنسانيّة ، و رسم لها معالم دقيقة ، تُبهر العقل و تُمتع الوجدان ، و ذلك أنّ سمات الإنسان في الإسلام هي :

- **كائن مقدس** : كشف القرآن الكريم أنّ الإنسان نفخة من روح الله ﷻ : ﴿ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر:29] . و من هنا فالإنسان ثنائي التركيب : روح و جسد ، و هو ليس ابن الطبيعة الماديّة الفانيّة ، بل ابن السماء و العالم المطلق .
- **مهمة جليلة** : كشف القرآن الكريم أنّ الله ﷻ خلق الإنسان لمهمّة : العبوديّة . ﴿ وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:56] . و هي مفهوم شامل لنشاطات الحياة : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:162] .
- **قابليّة ثنائيّة** : كشف القرآن الكريم أنّ الإنسان لديه قابليّة الترقي و التردي : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا ﴾ [الشمس:8] . لكنه مطالب باختيار جانب التزكيّة على جانب التدسيّة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَ قَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس9-10] . و هذا أحد أسرار وجود الابتلاءات / الشرور في حياة الإنسان ، إذ روعة الإنسان تتجلّى في وجود هذه التحدّيات في الحياة من حوله ، فبها يترّقى و يتزكّى ، و يكتسب قيمته .
- **حريّة كاملة** : كشف القرآن الكريم أنّ الله تعالى أعطى الإنسان الحريّة كاملة ، في إطار نظام حكمته المطلقة ، ليفعل ما يشاء ، و يختار ما يريد : سبيل الخير و الصلاح و الاستقامة ، أو سبيل الشر و الضلال و الانحراف . فبهذا فقط تكتسب حياة الإنسان معناها و قيمتها . ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ [المدثر:37] . و بهذا ألقى الله تعالى مسؤوليّة الاختيار بين طريق السعادة و طريق الشقاء على الإنسان ، ليقوم بدوره في الحياة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:11] .

و لقد وجدت ببديهة العقل أنّ هذه السمات : قيمة مقدسة ، وضوح المهمّة ، حريّة واسعة ، مسؤوليّة كاملة ، هي سمات عظيمة القدر ، جليلة المعنى . لأنّي أجد مقدرة عالية على الاختيار بين

شتى مسارات الخير و الشرّ . و هذا يقتضي أنّ لي قيمة كبيرة بين مختلف الكائنات الحيّة و الصامتة في فضاءات الحياة . و لا شك أنّ هذا يُثوّر في أعماقي أشواقها و يُشبع فيها احتياجاتها .

❁❁❁

. سؤال الكون :

أقصد به أنّ الإسلام قدم إجابة دقيقة عن الكون ، تكشف حقيقته ، و تُوضح طبيعة العلاقة التي يجب أن تحكم الإنسان بعناصره و روابطه في ظاهرها و باطنها . و من هنا كانت معالم الكون في الإسلام تتحدّد في المستويات التّالية :

- **مستوى الخضوع** : كل شيء في هذا العالم الظاهر و الباطن خاضع لحاكميّة الله المطلقة ، بحكم أن كل شيء مخلوق له تبارك شأنه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَ هُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [النحل : 48] .
- **مستوى الدلالة** : أشكال المخلوقات في هذا الكون ، على اختلاف تنوعها ، تتضمن قابليّة الفهم للعقل ، و بالتّالي فهي تدل دلالة واضحة – بذاتها و بعلاقاتها – على وجود خالق مبدع : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ﴾ [يونس : 101] .
- **مستوى التسخير** : مضى أمر الله تعالى أن يكون كل شيء في الوجود مسخراً للإنسان ، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ، كَيْما يقوم الإنسان بمهمّته الكبرى في الحياة : ﴿ وَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : 13] .

و لقد وجدت ببديهة العقل و حس الوجدان أنّ هذه المعالم : الخضوع المطلق للخالق العظيم ، الدلالة الكاشفة عن جلاله المقدس ، التسخير الكريم لمقدراته للإنسان ، تشعرني بالقيمة و المعنى . لأنّي لا أستطيع أن أفهم أن الخالق خلق الوجود و تركه يدير نفسه بنفسه ، فهذا – كما يؤكد لي عقلي – طعن مباشر في عظمة الألوهيّة و خضوع مقدس للكون بقوانينه الفيزيائيّة . و من هنا فإحساسي كإنسان بأن كل شيء مسخر لي ، يُفعمني بالرضا الجميل و النشوة الماتعة ، كما يحسّسني بالمسؤوليّة الكبيرة تجاه مكونات الكون و عناصر الحياة ، و يحملني على الجد في كشف ذخائر الكون و قوانينه

، لاستغلالها لحياة أفضل و أجمل : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَ كُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك: 15] .

❁❁❁

. سؤال الانتماء :

أقصد به أن الإسلام قدم إجابة واضحة عن مركز الانتماء و مجاله الذي يجب على الإنسان التحرك فيه . فالانتماء ضرورة نفسية راسخة ، لا يمكن إلغاؤها أو تجاوزها . و لهذا كشف الإسلام أنّ أساس و جوهر الانتماء الذي يليق بإنسانيّة الإنسان ، يجب أن يتحدد في التّالي :

- **التوحيد الخالص** : فقد شدد الإسلام على أن يكون الله ﷻ محور حياة الإنسان و انتمائه الفكري و الوجداني و العملي و الغائي . بحكم أنّه ﷻ خلق الإنسان لنفسه : ﴿ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر: 29] ، عبر آلية العبوديّة الخالصة بمفهومها الشامل المتكامل : ﴿ وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56] . و أنّ المصير المحتوم لن يكون إلا إليه : ﴿ هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يونس: 56] .
- **الحاكميّة المطلقة** : رتّب الإسلام على قاعدة التوحيد الخالص ، قيمة ثانيّة و هي أنّ كل إنسان يؤخذ من كلامه و يُترك ، إلا الله ﷻ – و الرسول ﷺ تبع له بالضرورة – . فالإسلام لا يبيح لأتباعه أن ينتموا لأي كان – شخص ، مذهب – إلا في إطار تعاليمه و أحكامه و آدابه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: 31] . و بهذا فأنماط الحياة و أشكال النشاطات ، سواء العلاقة الخاصة بين الإنسان و الله ، أو بين الإنسان و الآخرين ، يجب أن تُتلقى أُطرها و تعاليمها من الوحي الرباني فقط : القرآن و السنّة النبويّة .
- **العبوديّة التوقيفيّة** : الله تعالى خلق الإنسان لعبادته وحده لا شريك له . و كما أنّه فرض عليه التوحيد الخالص معرفيّاً ، فقد أوجب عليه الالتزام بشرعه سلوكاً . فالله وحده هو الذي له الحق الكامل في تحديد طرق التّعبد له و السلوك إليه . فكل شيء شرّعه الله فهو عبادة مرضية ، و كل

شيء لم يشرعه الله فهو هوى و عصبيّة و جهل ، لا يقبله الله و لا يزكي صاحبه . ﴿ وَ مَن يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [الفتح: 17] . و قول الرسول ﷺ : ﴿ من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ ﴾ .

و لقد أحسست و أنا أتأمل معطيات الإسلام حول قيمة الانتماء في حياة الإنسان ، و مختلف مقتضياتها ، فوجدتها منسجمة جدّاً مع بديهة عقلي و حقيقة فطرتي . فربط انتمائي بالخالق الجليل وحده لا شريك له ، و خضوعي لحاكميّته وحده لا شريك له ، و توقفي في تلقي أُطر العبادة و أنماط الحياة و مناهج التشريع التي رسمها لي وحده لا شريك له ، كل هذا وجدته يُشعرني بقيمتي و يحترم فيّ روعة إنسانيّتي ، و بالتّالي يعصمني من أشباح الاغتراب و الإحساس بالعبثية و الوحدة ، التي تضغط على الآخرين ، و هم يعطون انتماءهم : عقلاً و وجداناً و سلوكاً ، لشخص أو طبقة أو مذهب أو قوميّة . لقد أعتقد أنّ هذا لا يليق بي كإنسان .

❁❁❁

. سؤال الاجتماع و الحضارة :

أقصد به أن الإسلام قدم إجابة دقيقة عن العلاقات الاجتماعية و الإنسانيّة للإنسان ، كما ينبغي أن تكون ، و في أي إطار يجب أن تتحرك ، و إلى أي هدف يجب أن تسير . و لأجل ذلك وجدتُ أنّ المنهج الإسلامي رسم لهذه العلاقات معالم واضحة من شأنها أن تُساهم في تحقيق أهداف الحكمة الرّبانيّة من خلق الإنسان في هذا العالم :

- **وحدة المصدر** : فقد كشف الإسلام بأنّ الإنسانيّة قاطبة مصدرها واحد ، هو : الله ﷻ . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَ أُنثَىٰ ﴾ [الحجرات: 13] . ﴿ وَ لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ [الأعراف: 11] . هذه الحقيقة من شأنها أن تمنح الإنسان منظومة تصورات صحيحة و سليمة حول نفسه ، و الآخرين ، و المحيط من حوله .
- **قواسم مشتركة** : ما فتئ الإسلام يوضح حقيقة أن التكوين في كافة أطياف البشريّة : أفراداً و شعوباً ، واحدٌ . فالجميع مقهورون تحت ثلاثة قواسم مشتركة بينهم ، و هي :

❖ **الفطرة** : فالكل يتضمن نفس معالم الفطرة في جوهرها الأصلي . ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الزمر: 6] .

❖ **الغاية** : فالكل مخلوق لأداء غاية واحدة هي : التعبّد لله ﷻ . ﴿ وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56] .

❖ **المصير** : فالكل سائر إلى المصير نفسه بعد الموت : الجنّة أو النّار . ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: 57] .

و لا شك أنّ تأمل هذه الحقيقة ، يعصم الإنسان من السقوط في حمأة العنصريّة المقيتة ، هذا الوباء الذي يصيب الأفراد و الشعوب عندما تكون مبتوتة الصلة بجوهرها الفطري و مصدرها الحقيقي . و لهذا أعلن الإسلام أنّ معيار الأفضليّة بين البشر شيء واحد هو : التقوى ، في إطار الوحي الربّاني الحقيقي : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: 13] .

★ **ضرورة التعارف** : بالرغم من أن الإسلام يعترف بأنّ البشريّة تختلف في أنماط حياتها و تقاليدها ، كما في أنساق عقائدها و أديانها ، إلا أنّه حرص على الدعوة لمدِّ جسور التواصل بين تشكيلات الأفراد و الشعوب ، و إنشاء قنوات التعارف بينهم ، عصمةً لهم من السقوط في حمأة الصراعات ذات الدوافع الصغيرة . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَ أُنثَىٰ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات: 13] .

★ **المشاركة الفعّالة** : شدد المنهج الإسلامي على أهميّة مشاركة كل فرد – بحسب قدراته و في محيط استطاعته – في تشييد صرح الحضارة الفاضلة ، التي أمر الخالق الإنسان ببنائها : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: 61] . و في سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل ، شرّع التكافل الاجتماعي بين الأفراد ، كالزكاة و الصدقات ، و أمر بممارسة « النقد الاجتماعي » بمختلف مظاهره : الفكريّة ، الأخلاقيّة ، التشريعيّة ، و هذا هو عنصر : الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر . حتّى أنه توعد من انسلخ من هذه الممارسة و رفض المشاركة في تحقيق العمران الكريم ، بالعذاب الأليم : ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

﴾[المائدة:79] . و قول الرسول ﷺ : ﴿ إن الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه ﴾ . ﴿ إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه ، أوشك أن يعمهم الله بعقابه ﴾ . ﴿ تميط الأذى عن الطريق صدقة ﴾ . و لأجل هذا نهى نهياً شديداً عن العزلة و الرهبانيّة : ﴿ لا رهبانيّة في الإسلام ﴾ . و رفع قيمة العمل في طلب الرزق عالياً جدّاً : ﴿ ما أكلَ أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكُلَ من عمل يدِه ﴾ .

الحقوق و الواجبات : وضع المنهج الإسلامي نظاماً دقيقاً للحقوق و الواجبات للإنسان لمختلف علاقاته : علاقة الزواج ، علاقة الجوار ، علاقة العمل ، علاقة الحكم .. إلخ . على أنّ سمة هذه الخصيصة « الحقوق و الواجبات » تظهر في :

- ✓ **ربانيّة التشريع** : أي أن مصدر تلقي هذه الحقوق و الواجبات هو الوحي الربّاني فقط .
- ✓ **فطريّة التشريع** : أي أنّ تعاليم هذه التشريعات تنسجم للغاية من فطرة الإنسان و طبيعته .

و من خلال هاتين السمتين الكبريين ، وجدتُ أن شريعة الأحكام ترجع إلى :

- ☒ **العدل** : أي أنّ أصول الشريعة و فروعها مشمولة بقيمة العدل ، و لا يوجد فيها أدنى شوائب الجور ، لأن مصدرها الحق المطلق .
- ☒ **التيسير** : أي أنّ التيسير مقصد مهم من مقاصد التشريع ، و لهذا كانت قيمة التيسير قيمة كبيرة في ميزان المنهج الإسلامي .
- ☒ **المصلحة الراجحة** : أسس الله ﷻ عالم الدنيا على قاعدة النقص ، عكس عالم الآخرة ، و لهذا كانت الشريعة مبنية على جلب المصلحة و تكثيرها و درء المفسدة و تقليلها .
- ☒ **الإحسان** : أتاح المنهج الإسلامي للإنسان المؤمن المجال واسعاً للتسامي في علاقاته المختلفة إلى مستوى الإحسان و الجمال .

البيان و التبليغ : كشف الإسلام أن الوجود بكل أفراده و عناصره و مكونات ، في ظاهره و باطنه ، قائم على الحق ، و وجوده بالحق ، لأنه صادر عن الإله الحق . ﴿ وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ [الأنعام:73] . ﴿ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ

تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: 32] . و لأن هذا الدين حق : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: 108] . فقد أمر الله تعالى المسلم بإيصال رسالته كاملة إلى أمم العالم و شعوب الأرض : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: 64] . و قول الرسول ﷺ : ﴿ بلغوا عنّي و لو آية ﴾ . و من ثمّ شدد على الجهاد مهما وقف أعداء الإنسانيّة و المستكبرون في الأرض في وجه الدعوة و بيان حقائق النور الإلهي للإنسان ، حتّى أنّه جعل الجهاد أمارة من أمارات الصدق و الإخلاص : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنفُسِهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: 44] . بَيْدَ أنّه نبّه على أنّ وسيلة الدعوة و دستور تبليغ الحق (الإسلام) للعقل الإنساني ، هو الحوار بالتّي هي أحسن : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125] .

و لقد أحسست و أنا أُقلب وجوه الفكر في هذه المعطيات : وحدة المصدر ، القواسم المشتركة ، الأمر بالتعارف و إنشاء قنوات الاتصال بين الأفراد و الشعوب ، و الأمر بالمشاركة الايجابيّة في بناء المجتمع و الحضارة ، و الحرص على تبليغ رسالة النور الرباني إلى العالمين . كل هذا جعلني أشعر أنّني أمام منهج بلغ في السمو العقلي و القيمي و الموضوعي أقصى ما يمكن للعقل أن يتصور و ينتظر من دين ينتمي إلى الخالق العظيم . فكل ذلك فهمت منه حرص النظام الإسلامي على ضرورة إشاعة الفضيلة و إطلاق إشراقات الجمال في مناحي واقع الإنسان اليومي و نشاطات الاجتماعيّة و علاقاته الإنسانيّة .

❁❁❁

. سؤال المصير :

أقصد به أن الإسلام قدم إجابة واضحة لا لبس فيها عن علاقة الإنسان بالمصير الأبدي بعد الموت ، بحيث لم يعد الإنسان يتقلّب بين أطباق تصورات مشوّهة حول مصيره المحتوم ، و ماذا ينتظره هناك . و من هنا فقد كان ملامح المصير الأبدي في المعطى الإسلامي تتسم بالسمات التّالية :

★ **كائن أبدي** : كشف القرآن الكريم على حقيقة هائلة جدّاً ، ألا و هي : أن الإنسان كائن أبدي ، أي أنّه مخلوق للحياة الأبديّة . و هذا بسبب أنّه نفخت من روح الله ذي الكمال المطلق و الأبديّة الخالدة : ﴿ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر:29] . و لذلك فحقيقته الجهوريّة تتضمّن و تتطلّب الأبديّة ، و يستحيل على الإنسان أن ينفك عن هذه الغريزة المزوجة بجذر ذاته الإنسانيّة .

★ **الدنيا زائلة** : ذكّر القرآن الكريم الإنسانَ بحقيقة زوال هذه الدنيا . إذ أنّه ليس مخلوقاً لها ، بل وجوده فيها ، ليس إلا إعداداً — في أشكال ابتلاءات – لعالم آخر ، هو عالمه الحقيقي ، كما يتطلّب فكره العقلي و أشواقه الوجدانيّة و معاني الحياة الصحيحة . و لهذا يستغل القرآن كل مناسبة للتذكير بحقيقة الدنيا : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُم بالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:35] . ﴿ وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام:32] .

★ **الخلود المطلق** : كشف القرآن الكريم أنّ العالم الذي سينتقل إليه الإنسان هو عالم الخلود المطلق ، أي أبدية بلا نهاية . بحكم طبيعة الذات الإنسانيّة التي تتضمن ضرورة الخلود السرمدي . و إذا كانت هذه حقيقة كبيرة ، فإنّ القرآن لم يدع الإنسان يضرب في تيه التصورات عما يمكن أن يكون هناك . بل كشف و قرّر في مواطن شتّى ، بأنّ عالم ما بعد الموت : ثنائي المسار الأبدي :

☒ **مسار السعادة الأبديّة** : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:72] .

☒ **مسار التعاسة الأبديّة** : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة:68] .

و لقد وجدت أنّ هذا مناسب جدّاً لي كإنسان ، يشعر بالقيمة الفاضلة و المنزلة الراقية في هندسة الوجود . و ذلك أنّي أجدني أعيش في كل لحظة من لحظات حياتي في المستقبل ، و ليس في الحاضر و

لا الماضي ، أي أنّ تفكير و أحلامي منصبّ كلّه على الغد و المستقبل ، و لا شك أنّ هذا يقتضي أن فكرة الأبديّة جوهرية في طبيعتي الذاتيّة . كما أنّ هذا الإحساس يمنحني مقدرة عالية على الفهم و الإدراك ، و العيش بسلام مع ذاتي و في المحيط من حولي . و من ثمَّ أكون بمنأى من الذوبان في مأساة العدميّة ، و شعور الاغتراب ، و الماديّة القاتلة .

۞۞۞

إنّ الثمرات اليانعات التي يجنيها العبد المؤمن من هذه الجماليّات الفيّاضة بالنور و الحكمة و التوازن ، تتجلّى في خمسة أبعاد :

- **البُعد المعرفي** : الإشراق الأول الذي يشع في نفسيّة المؤمن هو : المعرفة الرحيبة . و أعني بها أن العبد كلما ازداد معرفة باللّه تعالى و علماً بأسمائه و صفاته و أفعاله ، ازدادت مداركه العقليّة اتساعاً و عمقاً و فهماً لأسرار الوجود و معاني الحياة الصحيحة .
- **البُعد التحرري** : الثمرة الثانيّة التي يقطفها العبد المؤمن من التوحيد هي : الحريّة . و هو تحرّر ايجابي فعّال . يعصم المؤمن من الخضوع لشتّى أصناف الطواغيت الماديّة و المعنويّة ، التي تؤثر سلباً على طاقته الشخصيّة و الإبداعيّة .
- **البُعد الأمني** : عندما يتحرر العبد المؤمن من قيود الطواغيت المختلفة ، فإنّه يشعر بالأمان و السلام من كل ما من شأنه أن يثير الخوف في أعماقه الباطنة . هذا الأمان و السلام ناتج عن عمق صلته باللّه ﷻ ، و تفاعله مع تعاليم شريعته .
- **البُعد الجمالي** : شعور المؤمن بصلته الوثيقة و القويّة باللّه ﷻ ، و انغماسه في أنوار التوحيد ، يُفتّق في أعماقه حاسة الجمال ، فيحرص على تذوقه عقليّاً من خلال تأمل دلائل التوحيد في الأنفس و الآفاق ، و وجدانيّاً من خلال تجاوبه مع إشراقاته في كل شيء ، عبر ممارسته في مختلف نشاطاته الخاصة و العامة .
- **البُعد الإبداعي** : امتلاء المؤمن بنفحات التوحيد و الإحساس بروعة قيمته في هندسة الوجود ، لا جرم أنّه يُثور فيه طاقات الإبداع : تفكيراً و سلوكاً . فشهوده روائع الإبداع الرباني في صفحات

الكون و الحياة و الذات الشخصيّة ، يمنحه مقدرة عالية و حرصاً شديداً على ممارسته إلى أقصى ما يمكنه في مجالات حياته المختلفة

و لقد كانت هذه الثمرات بيّنة واضحة آثارها في حياة الرسول ﷺ ، و الجيل الأول من المسلمين . و لا شك أنّها قابلة للظهور مرّة أخرى ، عندما يراجع المسلمون دينهم و يكتشفون تلك الكنوز و الذخائر الهائلة التي تتضمنها تعاليمه ، و لن يكون هذا إلا أن يتحرّر الفرد المسلم أولاً من الانخداع ببريق الغرب و عدم الدوران في فلكه ، الذي ما جرّ عليه سوى الدمار و الاستخفاء و التعبيّة المقيتة . ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا . وَ نَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ . [المعارج: 6-7] . و إنّ الله تعالى إذا وعد وفى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَ مَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: 55] .

❁❁❁

إذن من خلال هذه الأسئلة الستّة تيقنّا أنّ الإسلام هو الدين الحق ، فهي تُشبع فيّ احتياجات العقل و أشواق الروح ، و بذلك هي تمنحنا الطاقة القوة و المتواصلة على العيش بسلام و انسجام ، بين ذواتنا كإنسان ذي عقل و وجدان ، و بين الحياة الدفّاقة و الوجود المحيط . و لا شك أنّ إنساناً ترك الهوى و الأفكار المسبقة و تحامى عن التأثر بالإعلام الماكر – بمختلف وسائله – الحريص على ترويج الباطل و زخرفته و تزيينه في عقل و ضمير الإنسان تحت شعارات برّاقة مثيرة ، يدرك بجلاء أن النظام الاسلامي – بمختلف مستوياته و تجلّياته – هو صورة كينونة الإنسان في بُعدها الفطري السليم .

هذه هي إجابتنا عن : لماذا أنا مسلم ؟ فليقدم لنا الملاحدة و النصارى . إجابتهم ، لنفهم لماذا هم ملاحدة ، و نصارى ؟ و إلى أي مدى يمكن للإلحاد و النصرانيّة أن تلبي للإنسان مختلف احتياجاته المعرفيّة (العقيدة) و القيميّة (السلوك) و الجماعيّة (التشريع) .

و الحمد لله ربّ العالمين .